مجلة محكمة
الدراسات القرآنية المعاصرة

تحليلٌ للدلالة القرآنية فی سورة التين و علاقتها الزوجية المعنوية بسورة العلق

فاطمه اسدی[1]

الملخص

يسعى هذا البحث إلى استكشاف الروابط الدلالية بين سورتی «التين» و «العلق» فی القرآن الكريم، مسلطاً الضوء على "نظام الزوجية" القائم بينهما من منظور بنيوی و مضمونی. و تستند الدراسة إلى نظرية "زوجية السور" لتُبيّن أن هاتين السورتين لا تجمعهما وحدة الترتيب و نظم الآيات فحسب، بل يمتد ذلک إلى علاقة تكاملية عميقة فی الجوانب المفاهيمية و المعنوية. اعتمد المقالُ منهجَ الوصفی التحليلی، فی دراسة مفاهيم محورية كخلق الإنسان، و الهداية، و الانحطاط، و الطغيان، بالإضافة إلى بحث صلة هذه السور بالكتب السماوية السابقة. و توصلت نتائج البحث إلى أن سورتی التين والعلق، بصفتهما زوجاً معنوياً، تقدمان رسالةً موحدةً تتصل ببدء الخلق و هداية الإنسان و مصيره النهائی. و بناءً على ذلک، فإن القراءة المحورية للمعنى فی بنية السور المتجاورة، يمكن أن تتجلى فی إطار نسقٍ حديث يُعرف بـ "النظم الزوجی"، مما يفتح آفاقاً لاستنباط مفاهيم قرآنية جديدة و عميقة، و يُبرز وجهاً من وجوه الإعجاز النصی فی القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية:

سورة التين، سورة العلق، النظام الزوجی، التناسب الدلالی، علوم القرآن، الدلالة الحضارية

[1] الأستاذ المدعو، قسم التربية والتعليم الإسلامی، جامعة "فرهنكيان"، مشهد، فرع الشهيد هاشمی نجاد للإناث، محافظة خراسان الرضوية، مشهد، إيران. Assadii۲۰۲۱@gmail.com

۱. المقدمة

لطالما كانت البنيةُ الفريدة و النسقُ المنظّم للقرآن الكريم محطَّ اهتمامٍ واسعٍ من قبل الباحثين فی علوم القرآن و البلاغة عبر التاريخ. و تُعدُّ هذه الهيكلية الخاصة من أبرز وجوه التمايز التی لا تفصل هذا الكتاب عن النتاج البشری فحسب، بل تميزه أيضاً عن سائر الكتب السماوية للأديان الأخرى (نامور مطلق، ۱۳۹۰، ص۶۵).

كلّما اتسعت آفاقُ الدراسات النصيّة المعاصرة، تضاعفت معها الحاجةُ الملحّةُ لإيجاد مقاربات دراسيّة موازية فی سياق النص القرآنی. لقد نفذت بعض الدراسات الحديثة فی مجال التماسک النصی و نظريات التناص إلى الدراسات القرآنية؛ حيث تُظهر هذه الحزمة من الأبحاث أنه علاوةً على التماسک النصی داخل السورة الواحدة، يمكن تحليل العلاقات التناصية بين سورة و أخرى وفق قواعد اتساق النص و انسجامه (لطفی، ۱۳۹۰ش، ص۱۴۲-۱۴۷). و إنّ دراسة سور القرآن الكريم من هذا المنظور تكشف عن وجود روابط دلالية عميقة فيما بينها. و فی هذا السياق، تمّ تناول أحد الجوانب المثيرة للاهتمام فی العلاقات بين السور ضمن نظريات مثل «زوجية السور»؛ و هی نظرية تؤكد على وجود صلات دلالية و بنيوية بين سور معينة، و تصنفها كأزواج متكاملة و متقابلة (السيوطی، ۱۴۰۶هـ ص۶۳-۶۸). و فی هذا السياق، تسلط الدراسة الحالية الضوء على سورتی "التين" و"العلق"، باعتبارهما سور تين تجمعهما روابط وثيقة من حيث المضمون و المفاهيم. يسعى هذا المقال، عبر منهج الوصفی التحليلی، إلى سبر أغوار المضامين فی هاتين السورتين لاستكشاف نظام الزوجية المعنوية القائم بينهما، و بيان كيف تقدم السورتان -بوصفهما زوجاً واحداً- رسالةً متناغمةً و متكاملةً حول خلق الإنسان و هدايته و مصيره. و من هنا، يهدف البحث إلى الإجابة عن التساؤل الآتی: كيف تعمل هاتان السورتان كزوج معنوی واحد؟ و ما هی الروابط المفاهيمية القائمة بين آياتهما؟

۲. الدراسات السابقة

تستند نظریهٔ "زوجیهٔ سور القرآن" إلی آیات کریمهٔ مثل: «وَ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَیْنِ لَعَلَّکُمْ تَذَکَّرُونَ» (الذاریات: ۴۹)، مما یشیر إلی وجود نظام زوجی فی الوجود بأسره، بما فی ذلک بناء القرآن الکریم. و رغم أن المفسرین فی العصور المتقدمهٔ رکزوا غالباً علی تفسیر الآیات و السور بشکل منفرد، إلا أن بعضهم أشار ضمناً إلی التناسب بین السور المتجاورهٔ. فقد ورد عن ابن عباس ما یشیر إلی الربط بین السور المتجاورهٔ، مثل ربطه بین سورتی "الناس" و"الفلق" کزوج متجاور یشترک فی موضوع الاستعاذهٔ بالله (ابن عباس، د.ت). کما أشار مقاتل بن سلیمان فی تفسیره إلی روابط بین سور متجاورهٔ، کالعلاقهٔ بین سورتی "القدر" و"البینهٔ" لکونهما تشترکان فی موضوع نزول القرآن (مقاتل بن سلیمان، د.ت).

و فی العصور الوسطی، أصبح تناول بنیهٔ القرآن و التناسب بین السور أکثر منهجیهٔ. فقد اهتم الطبری فی تفسیره بترتیب نزول السور و العلاقات فیما بینها، لاسیما التناسب بین سورتی "الضحی" و"الشرح" (الطبری، ۱۴۱۲هـ ج۳۰، ص۱۵۰). کما درس الزمخشری فی "الکشاف" البناء الأدبی والبلاغی، مشیراً إلی علاقات دلالیهٔ بین السور المتجاورهٔ، کربطه بین سورتی "الفیل" و"قریش" لاشتراکهما فی استعراض النعم الإلهیهٔ (الزمخشری، ۱۴۰۷هـ ج۴، ص۸۰۱).

أما فی العصور المتأخرهٔ، فقد ازداد تدقیق المفسرین فی بنیهٔ القرآن، و من أبرزهم ابن عاشور فی "التحریر والتنویر" (ابن عاشور، ۱۴۲۰هـ ج۳۰، ص۳۵۹)، و سید قطب فی "فی ظلال القرآن" حیث حلل بناء السور وأشار إلی العلاقات المعنویهٔ بین أزواج مثل (الضحی والشرح) و (القدر والبینهٔ) (سید قطب، ۱۴۲۵هـ ج۶، ص۳۹۲۹).

و فی العصر الراهن، اتخذت الدراسات منحیً أکثر نظامیهٔ؛ فقد اعتنی العلامهٔ الطباطبائی فی تفسیر "المیزان" بتحلیل بناء السور و تناسبها، لاسیما نظام الزوجیهٔ بین سورتی (الضحی و الشرح) و (الفیل و قریش)، حیث استعرض أقوال المفسرین فی هذا الشأن قبولاً ورداً (الطباطبائی، ۱۳۷۴ش، ج۲۰، ص۵۲۹ و۶۲۶). کما یُعد محمد عبد الله دراز من الباحثین البارزین الذین تناولوا هذا العلم فی کتابه "النبأ العظیم"، لاسیما فی حدیثه عن التناسب بین سورتی "القدر" و"البینهٔ" (دراز، ۱۴۰۵هـ ص۸۱).

أولی السید مهدی لطفی فی بحثه اهتماماً خاصاً بالعلاقات النصیهٔ الداخلیهٔ بین آیات کل سورهٔ، ثم بالعلاقات النصیهٔ المتبادلهٔ بین السور. فعلی سبیل المثال، قام بتحلیل دراسهٔ حالهٔ لسورتی الطور و القارعه، استناداً إلی نظریهٔ التماسک النص بین السورتین (لطفی، ۲۰۱۱، ص ۱۴۲-۱۴۷).

و من المحققین المعاصرین أیضاً أحمد زارع زردینی، الذی رکز فی أبحاثه علی نظام الزوجیهٔ، کدراسته للعلاقهٔ بین سورتی "الفتح" و"الحجرات" (زارع زردینی و آخرون، ۱۳۹۷ش).

قد حلل مفسرون آخرون مثل الفخر الرازی فی "التفسیر الکبیر" الدلالات المعنویهٔ لهذه السور (الرازی، ۱۴۲۰هـ ج۲۵، ص۲۰). کما أجریت دراسات أخری حول نظام الزوجیهٔ، منها بحث "نظام تقابل سور القرآن" (سجادی، ۱۳۹۰ش، ص۱۲۵) الذی استعرض نماذج للتناسب المضمونی، و بحث "التحلیل الأسلوبی لنظام

زوجیهٔ سور القرآن" (أحمدی، ۱۳۹۸ش، ص۷۵-۹۰) الذی رکز علی الأسالیب البیانیهٔ و النحویهٔ للزوجیهٔ فی الآیات. و تؤکد هذه الدراسات مجتمعهً علی ضرورهٔ الاهتمام بالروابط الداخلیهٔ للقرآن الکریم و تعزیز فکرهٔ تناغمه البنیوی.

.

۳. دراسهٔ الروابط الدلالیهٔ بین سورتی التین و العلق

تسعی الدراسهٔ الحالیهٔ إلی تحلیل "الزوج السوری" المتمثل فی سورتی التین و العلق، و فکّ الروابط الدلالیهٔ الکامنهٔ فی آیات هاتین السورتین واستجلاء أسرار التناسب بینهما.

۳-۱ الدراسهٔ المضمونیهٔ لسورهٔ التین

تعدُّ سورهٔ التین من سور "المفصَّل" فی الجزء الثلاثین من القرآن الکریم، و تقع ضمن السور الخاتمهٔ للمصحف الشریف. و یذهب جمهور المفسرین إلی أنها سورهٔ مکیهٔ، و تتألف من ثمانی آیات :«بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِیمِ، وَالتّینِ وَالزّیْتُونِ (۱) وَطُورِ سِینِینَ (۲) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِینِ (۳) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِی أَحْسَنِ تَقْوِیمٍ (۴) ثُمّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِینَ (۵) إِلّا الّذِینَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَیْرُ مَمْنُونٍ (۶) فَمَا یُکَذّبُکَ بَعْدُ بِالدّینِ (۷) أَلَیْسَ اللّهُ بِأَحْکَمِ الْحَاکِمِینَ (۸).

۳-۱-۱ نظرهٔ فی غرض السورهٔ و روحها

یذهب الباحثون فی تاریخ الأدیان إلی أنَّ مهد بعثات الأنبیاء الإلهیین قاطبهً هو المنطقهٔ المعروفهٔ جغرافیاً بـ "الشرق الأوسط" الحالیهٔ (Armstrong, ۱۹۹۳, p. ٤٥; Smith, ۱۹۹۱, p. ۱۲۳; Liverani, ۲۰۱٤, p. ۷۸) و فی هذه السورهٔ، ثمهٔ إشارهٔ واضحهٔ إلی الأراضی التی مثلت النواهٔ الصلبهٔ و المرکز الأساس لنشوء الأدیان السماویهٔ و ظهور أنبیاء أولی العزم؛ حیث صرّحت الآیتان الثانیهٔ و الثالثهٔ بتلک البقاع المقدسهٔ.

أما الآیهٔ الأولی التی حملت القسَم بـ "التین و الزیتون"، فیمکن مقاربتها من وجهین: إما أن یکون المراد منهما الفاکهتین المعروفتین (نظراً لما تکتنزهما من فوائد جمّهٔ)، أو -بقرینهٔ الآیتین الثانیهٔ والثالثهٔ- یکون القسَم إشارهً کنائیّهً إلی مواطن إنباتهما. و فی هذا السیاق، یُشیر "التین" إلی بلاد الشام، و"الزیتون" إلی بیت المقدس. و قد ذهب العلامهٔ الطباطبائی إلی أنَّ القسَم بهذین المکانین قد یُعزی إلی کونهما مبعثاً لکثیر من الأنبیاء (الطباطبائی، ۱۳۷۴ش، ج۲۰، ص۵۳۹).

و علیه، و بناءً علی هذا التأویل، یمکننا صیاغهٔ "نسق مکانی" للأقسام الأربعهٔ التی استُفتحت بها السورهٔ علی النحو الآتی:

۲-۱-۳الإحداثيات المكانيۀ لمضامين آيات القسم

أ) بلاد الشام (موطن شجر التين): يذهب بعض المفسرين إلى أن "جبل التين" هو جبل "الجودى" الذى استوت عليه سفينۀ نوح و كان منبتاً للتين. و نُقل عن قتادۀ أن "التين" هو الجبل الذى تقع عليه مدينۀ دمشق، و"الزيتون" هو الجبل الذى بُنى عليه بيت المقدس (الطبرسى، ج۱۰، ص۷۷۵؛ آلوسى، ج۳۰، ص۱۷۳). كما ذكر عكرمۀ أن "التين و الزيتون" اسمان لجبلين ينبتان هذين النوعين من الثمار(الطبرسى، ج۱۰، ص۷۷۵).

ب) وادى فلسطين (موطن شجر الزيتون): حيث تضم مدينۀ بيت المقدس (أورشليم) مهد العديد من الأنبياء، كعيسى عليه السلام و جمع من أنبياء و أوصياء بنى إسرائيل (McAuliffe, ۲۰۰۱-۲۰۰٦, p. ۳٤٥; Armstrong, ۱۹۹٦, p. ۷۸; Smith, ۲۰۱۰, p. ٤٥).

ج) طور سينين: و هو الموقع الذى شهد بعثۀ موسى عليه السلام و تلقيه الوحى.

د) البلد الأمين (مكۀ المكرمۀ) : و هى مهبط الوحى و بعثۀ خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله و سلم.

إن هذه المواقع الأربعۀ تمثل بمجموعها "البيئۀ الجغرافيۀ المقدسۀ " التى تدفق فيها الوحى الإلهى أولاً، و منها انطلق ليغمر آفاق العالم؛ ولذا كرمها الله تعالى بالقسم بها فى كتابه.

۳-۱-۳ خلق الإنسان

عقب تلك الأقسام، ينتقل السياق إلى مسألۀ نشأۀ الإنسان، سواء بمعناه العام أو الإنسان الأول (آدم عليه السلام). و تشير الآيات إلى أن الإنسان الذى ينأى بنفسه عن هدايۀ الأنبياء، ينحدر حتماً نحو أدنى مراتب الخلق "أسفل سافلين". و يُستثنى من ذلک أولئک الذين انضووا تحت الولايۀ الإلهيۀ وسلكوا درب الهدايۀ النبويۀ فكانوا من "الذين آمنوا وعملوا الصالحات"، حيث يُكرمون بالجزاء الأخروى الدائم. و فى الختام، تُفوض عاقبۀ الجاحدين إلى حكم الله"أحكم الحاكمين."

۳-۲ العلاقۀ بين الميزتين: التناسب بين القسم والمُقسَم عليه

إن السمۀ الجوهريۀ التى تُميز سورۀ "التين" عن غيرها، هى جمعها بين الإشارۀ إلى الأراضى التى كانت مهداً للأديان و بين مسألۀ "خلق الإنسان". و هذا الربط بين هذين المعطيين هو ما أثبته علم الآثار و التاريخ الحديث؛ إذ يُعدُّ "الشرق الأوسط" مهد الحضارات الأولى. ففى هذه المنطقۀ ظهر البشر الأوائل و وضعوا حجر الأساس للحضارۀ الإنسانيۀ.

و لا يخفى على ذى بصيرة الارتباط الوثيق بين الحضارة و الوحى؛ فقد وصلت أولى المكتسبات الحضارية (مثل بناء السفن الضخمة، صناعة الدروع و السيوف، و ابتكار الخط والكتابة) إلى البشرية عبر الوحى الإلهى للأنبياء أولاً. فالحضارة البشرية المبكرة تبلورت فى الشرق الأوسط تحت ظلال الهداية الغيبية (Sasson, ١٩٩٥, p. ٢٣٤; Black & Green, ١٩٩٢, p. ٨٩). و يؤكد علماء الآثار أن هذه المنطقة شهدت ظهور أوائل الأديان فى العالم، و هو ما تُصدّقه الكتب السماوية.

بناءً على ذلك، و من خلال مراعاة التناسب بين القسم والمُقسَم عليه و سياق السورة من مطلعها إلى ختامها، نجد أن "روح السورة" تتمحور حول الإشارة إلى مهد الحضارة البشرية الأولى، و بيان أن ازدهار هذه الحضارة و فاعليتها إنما تحقق فى ظل الوحى، بينما يكون مصير البشرية -حضارياً و وجودياً و أخروياً- هو الهلاك و التردى حين تُعادى الأديان الإلهية و تعاليم السماء.

۴. الزوج الدلالى للسورة

يبدو أن سورة "التين" تشكل مع سورة "العلق" -التى تليها فى ترتيب المصحف- "زوجاً دلالياً" يخضع لنظام الزوجية فى السور القرآنية. و يكشف الفحص المضمونى لهاتين السورتين عن تشابهات و تناظرات جمّة فى الآيات، و هو ما سنفصله فى السطور القادمة.

۴-۱ دراسة فى كُلّيّة "نظام الزوجية" فى السور

تستند نظرية زوجية سور القرآن إلى نصوص صريحة من الكتاب الكريم؛ حيث أشار الله تعالى فى مواضع عديدة إلى سريان "نظام الزوجية" فى الكون قاطبةً، و جعل ذلك تذكرةً و تنبيهاً للبشر. فقد أقرت سورة "الذاريات" صراحةً بوجود هذا النظام فى كل شىء (كُلّ شَىْءٍ). و بما أن القرآن هو كلام الله وأحد تجليات خلقه (بمعنى الوجود العينى للنظم)، فإن وجود مثل هذه الزوجية فى مضامينه أمرٌ واردٌ و ممكنٌ عقلاً و نقلاً.

و تدلّ الآيات الآتية على شمولية هذا النظام فى العالم:

- «وَمِنْ كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلّكُمْ تَذَكّرُونَ» (الذاريات: ۴۹)
- «وَ أَنّهُ خَلَقَ الزّوْجَيْنِ الذّكَرَ وَالْأُنْثَى» (النجم: ۴۵)
- «وَ مَا خَلَقَ الذّكَرَ وَالْأُنْثَى» (الليل: ۳)
- «سُبْحَانَ الّذِى خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلّها مِمّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ مِمّا لا يَعْلَمُونَ» (يس: ۳۶)
- «وَ الّذِى خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلّها وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَ الْأَنْعامِ ما تَرْكَبُونَ» (الزخرف: ۱۲)

۴-۲ قاعدة التذكير و التأنيث فى عموم المخلوقات

إن بيان هذه السنة الإلهية القاضية بخلق كل شىء فى صورة ذكر و أنثى (كما فى سور النجم، و الليل، و يس، و الزخرف) هو شرح لمعنى الزوجية فى عالم الإمكان. و من البديهى أن التذكير و التأنيث فى عالم المادة يحمل

معناه المعهود، أما فی الأشیاء "غیر المادیة"، فإن التذکیر یشیر إلی "الفاعلیة" (دور الفاعل)، و التأنیث یشیر إلی "القابلیة" (دور القابل). فالمذکر فاعلٌ و المؤنث قابلٌ.

و لا یبعد هذا المفهوم عن هیکلیة سور القرآن؛ حیث یمکن لسورةٍ ما أن تمثل المعنی "الفاعلی" و تمثل السورة الزوج لها المعنی "القابلی". و مع أن إثبات سریان هذه القاعدة علی کافة سور القرآن یتطلب بحثاً مستفیضاً و جهداً علمیاً دقیقاً، إلا أن ملامح هذا الأمر فی حدود البحث الحالی تبدو ممکنة الظهور و مستندة إلی قرائن قویة.

۴-۳ تحلیل نظام الارتباط المضمونی بین سورتی التین و العلق

عند الدراسة المتناظرة للسورتین، نخلص إلی نتیجة مفادها أن سورة "التین" تبدو کأنها "نواة مکثفة" أو خلاصة جوهریة لمضامین سورة "العلق". فالسورتان تشتملان علی مفادٍ مشترک، و آیاتهما تمضی فی خطوط متوازیة و متناظرة. و سنورد فیما یلی الشواهد التی تدعم هذا الادعاء عبر فحص الآیات المتناظرة ذات المفاهیم المتشابهة فی السورتین:

۴-۳-۱ الآیات المتعلقة بخلق الإنسان

- **سورة التین :**«لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِی أَحْسَنِ تَقْوِیمٍ» (۴) یُشیر "أحسن تقویم" إلی المقام الرفیع للإنسان من حیث فطرته الأولی و استعداده الذاتی (الطباطبائی، ۱۳۷۴ش، ج۲۰، ص۵۴۰). و قد استُخدم هنا "أسلوب الإیجاز" للإشارة إلی الرفعة الإلهیة والمکانة السامیة التی خُصَّ بها الإنسان.
- **سورة العلق :**«اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ» (۱-۲ تُشیر هاتان الآیتان إلی أصل الخلقة و ضآلة المادة الأولیة للبشر (العلق). ثم تأتی الآیات: «اقْرَأْ وَ رَبُّکَ الْأَکْرَمُ، الَّذِی عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ یَعْلَمْ» (۳-۵) لتستعرض مَنَّ الله و فضله علی الإنسان عبر تعلیمه؛ فبواسطة "القلم" –و هو أداة العلم والوعی- تتحول الطاقات الکامنة (بالقوة) إلی حقائق ملموسة (بالفعل).

تؤکد هذه الآیات علی "الطابع الوحیانی "لفن الخط و الکتابة؛ إذ صرّحت بتعلیم الإنسان بواسطة القلم. و هذا المبدأ الجوهری الذی یُعرف تاریخیاً بـ "ابتکار الخط الأول"، یُعزز فرضیة أن الکتابة کانت إلهاماً و وحیًا للأنبیاء، و هو ما یُقره باحثو تاریخ الحضارات .(Daniels, ۱۹۹٦, p. ٥٦; Sasson , ۱۹۹٥, p. ۲۳٤) و کما أشارت سورة التین إلی مهد الحضارات، جاءت سورة العلق لتتحدث عن "القلم و الخط" باعتبارهما من أشد اللوازم الحضاریة ظهوراً و تأثیراً.

۴-۳-۲ الآیات المتعلقة بالطبع و الشاکلة النفسیة للإنسان

- **سورة التین :**ثُمّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِینَ» (۵)تتسم هذه الآیة بـ "الإیجاز الحذفی"، و هی تُومئ إلی السقوط الدنیوی (بالمعنی الأخلاقی و الروحی) للإنسان الذی یمتلک استعداداً للکمال، کما تُنذر بالسقوط الأخروی فی الدرک الأسفل من النار.
- **سورة العلق :**کَلّا إِنّ الْإِنْسَانَ لَیَطْغَی، أن رّآهُ اسْتَغْنَی... أَلَمْ یَعْلَم بِأَنّ اللّـهَ یَرَی» (۶-۱۴) جاءت هذه الآیات الثمانی بسطاً و تفصیلاً للمفهوم الموجز فی سورة التین (الآیة ۵). و بأسلوب أدبی أکثر لیونة و إیقاعاً موسیقیاً جاذباً، تشرح السورةُ أسباب السقوط إلی "أسفل سافلین"؛ فتعز و ذلک إلی "الطغیان" الناجم عن توهم الاستغناء عن الوحی و النبودة بعد نیل نعمة الهدایة و العلم.

بناءً علیه تُبرز الآیات لزوجیة المعنی من خلال بیان أن الطاغیة لا یکتفی برفض الهدایة فحسب، بل یمنع الآخرین منها (الآیات ۹-۱۴). و هذا یمثل "تفصیلاً بعد إجمال" لقوله تعالی "أَسْفَلَ سَافِلِینَ". و من زاویة أخری، فإن الاستثناء الوارد فی سورة التین (إِلّا الّذِینَ آمَنُوا...) یجد شرحه العملی فی سورة العلق عبر تجلیات الصلاة (الآیة ۱۰)، و الثبات علی الهدی (الآیة ۱۱)، و الأمر بالتقوی (الآیة ۱۲)؛ و هی السیرة العملیة للمؤمنین الناجین من السقوط الردیء.

۴-۳-۳ الآیات المتعلقة بالقضاء و الحکم الإلهی تجاه الطغاة

- **سورة التین :**أَلَیْسَ اللّهُ بِأَحْکَمِ الْحَاکِمِینَ» (۸) بعد استعراض مهد الأدیان و انقسام البشر إلی "سافل" و"صالح"، تختم السورة بالإشارة إلی الحاکمیة الإلهیة و القضاء العدل الذی یوفی کل فریق جزاءه. و تختزن هذه الآیة دلالات عمیقة فی أدنی مجهود لفظی.
- **سورة العلق :**کَلّا لَئِنْ لَمْ یَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنّاصِیَةِ، نَاصِیَةٍ کَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ، فَلْیَدْعُ نَادِیَهُ، سَنَدْعُ الزّبَانِیَةَ» (۱۸-۱۵) تُجسد هذه الآیات "حاکمیة القهر و القدرة" فی جازاء الطغاة؛ فهی بیانٌ تفصیلی لقوله "أَحْکَمِ الْحَاکِمِینَ" من خلال استعراض کیفیة غلبة الحکم الإلهی علی المستکبرین.

النتیجة :یخلص التحلیل إلی أن کلتا السورتین تمهدان منطقیاً لقبول فکرة المعاد و الجزاء، و تختمان السیاق بتقریر الحقیقة الکبری: أن مرجع الإنسان -آمناً کان أو طاغیاً- إلی حکم الله العادل.

۵. تصنیف السور

تنتمی سورة "التین" -من حیث التصنیف البنیوی لسور القرآن الکریم- إلی مجموعة "السور المفتتحة بالقسَم". و تتشارک هذه المجموعة فی خصائص فنیة و دلالیة تمیزها عن غیرها، و من أبرز هذه الخصائص المشترکة:

- قِصَر الفواصل القرآنیة :اعتماد الآیات القصیرة القائمة علی "صناعة الإیجاز."

- تعدد الأبعاد الدلالية :انتقال المعنى عبر وجوه متعددة تحت ظلال القسَم بشيء واحد.
- التأكيد البالغ على "المُقسَم به :"لفت الانتباه لتعظيم شأن الأقسام.
- التناسب العضوى بين القسَم و المُقسَم عليه.
- الإيقاع الموسيقى و الوزن :تتميز ببلاغة صوتية و سماعية عالية (الإيقاع النغمى)
- التركيز الموضوعى :تتمحور غالباً حول قضايا المعاد، البعث و الحشر، و الجزاء، و يوم القيامة.

٦. دلالات التعميم فى السورة

تشتمل سورة التين على أدوات لغوية تفيد "العموم والشمول"، و هو ما يُعزز الرسالة الكونية للسورة:

أ) عموم الجنس فى خلق الإنسان :فى قوله تعالى: «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ» -التى جاءت جواباً لأربعة أقسام متتالية- نجد أن كلمة "الإنسان" قد اقترنت.

ب) أل الجنسية .و من الناحية الأصولية و اللغوية، فإنها تفيد الاستغراق و العموم؛ أى أن المقصود هو "جنس الإنسان" قاطبةً. فكل فرد بشرى قد خُلق وفق أفضل نظام و قوام، سواء من الناحية الجسدية، أو الفطرية، أو الروحية.

ج) عموم الاستثناء للمؤمنين :فى قوله تعالى: «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ»، استُخدمت أدوات التعميم أيضاً؛ فكلمة" الذين "من الأسماء الموصولة التى تفيد العموم. و هذا يعنى أن كل مَن يتصف بصفة الإيمان والعمل الصالح -دون استثناء- يخرج من دائرة السقوط فى "أسفل سافلين"، بل وينتظره جزاءٌ موصوفٌ بالديمومة و الكرامة (غير ممنون).

٧. تصريفات المعانى دراسة فى "أحسن تقويم" و"أسفل سافلين"

تتجلى فى الآيتين (٤ و٥) إحدى بدائع التصريف بمعنى تنويع عرض المعنى الواحد بأساليب شتى؛ حيث يُعرض خَلْق الإنسان فى نظامٍ مِثالى و بُنيةٍ بالغة الحُسن، ثم يُقابَل ذلك برَدِّه إلى "أسفل سافلين"، أى أدنى الدركات و أحقر المراتب. و قد ورد تصريفُ معنى "الحُسن فى خَلْق الإنسان" فى مواضع قرآنية أخرى بأساليب و فنون أدبية متنوعة، منها:

- سورة المؤمنون (الآية ١٤) ثُمّ خَلَقْنَا النّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ . يُصرف القرآنُ هنا خَلْق الإنسان عبر استعراض مراحل التكوين الجنينى وصولاً إلى نفخ الروح. و هذا النسق المرحلى فى نظام التكوين، و اختتامه بالثناء على الذات الإلهية (تبارك الله)، يُبرز عظمة الخلق و يخرجه من دائرة "الصدفة المادية" -كما يزعم الماديون- إلى كونه ظاهرةً عُلوية تتجلى فيها قدرة الخالق، لاسيما فى مِحور "نَفْخ الروح" الذى يمنح الجسد تعاليه.

- سورة الإسراء (الآية ٧٠) :وَ لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِی آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ رَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا.
- سورة التغابن (الآية ٣) :خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ.

أما بخصوص «أسفل سافلين» فكما أشرنا سابقاً، قد يُراد به السقوط الدنيوی أو الأخروی؛ فهو كِناية عن "أدنى دركات العذاب" للمشركين، أو كِناية عن "عالم المادة" بوصفه أدنى عوالم الوجود. و من الناحية الفلسفية، ثبت أن عالم المادة (الناسوت) يميل للزوال بسبب تضاد العناصر و فنائها. فإذا قورن هذا العالم المادی المحدود بعوالم الملكوت و الجبروت و اللاهوت ذات القوى النورية و المجردة، وُجد أنه الأقل شأناً و رتبةً (طباطبائی، ١٣٨٧ ش، ص ٥١٩ و ٥٣٠). لذا فإن "أسفل سافلين" قد تُصرف لتعنی "عالم الدنيا" بأسلوبٍ يُثير التفكر و يحمل فی طياته نوعاً من "التحقير والتحجيم" لهذا العالم (طباطبائی، ١٣٦٩ ش، ص٥١)، مما يُحفز الإنسان -بما جُبل عليه من حب الكمال- للترفع عن الدنايا و السعی نحو "العالم العِلوی."

٨. صنعت الالتفات فی السورة

البلاغية؛ إذ انتقل السياق فجأةً من ضمير «الالتفات» تظهر فی الآية ٧: «فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ» صنعة المتكلم مع الغير (خلقنا، رددناه) إلى "ضمير المخاطب" (يُكذبك).

و استحضار ذهنه بأقصى درجة. و كأنَّ الخطاب "شد انتباه المخاطب"إنَّ الغرض من هذا الالتفات القوی هو الإلهی يسعی بكل قوةٍ و سرعةٍ إلى "جذب" الإنسان الواقف على حافة الهاوية (أسفل سافلين) و إرجاعه إلى منطقة الأمان الإيمانی بعيداً عن خط الخطر.

٩. دلالة المعنى عبر "حذف الدوال"

تعتمد الآيات من ١ إلى ٣ فی إيصال مضامينها على استراتيجية "حذف الدوال" عبر أسلوب الإيجاز؛ حيث صُبَّت جملةٌ من الأقسام الجوهرية فی قالبٍ لغوی مكثف. هذا النمط يدفع ذهن المتلقی للبحث عن معانٍ متعددة خلف إشارة لغوية قصيرة، مما يولد نوعاً من «الإيهام فی بطن الإيجاز».

إنَّ تعدد القراءات هذا سمح للمفسرين عبر القرون باستنباط دلالات متنوعة للأقسام الأربعة، شملت:

١. الثمار المعروفة لخواصها الشفائية.
٢. مواطن إنبات التين و الزيتون.
٣. البقاع المقدسة التی مثلت نقاط الاتصال الأولى بين الأرض و السماء (مهبط الوحی).
٤. طور سيناء حيث المناجاة و التجلی الإلهی.
٥. مكة المكرمة أو المدينة المنورة.

۶. و أخيراً، تأويل البعض لهذه الأقسام بأهل بيت النبى عليهم السلام (القمى، د.ت، ص۴۰۵) و كل هذه الوجوه قد تكون صحيحة و تتبادر إلى الذهن عند استكمال "الدوال المحذوفة"، مما يجعل الإيجاز وسيلةً لاستنهاض عملية التدبر.

الإيجاز فى خلق الإنسان و مصيره (الآيات ۴-۵):

استمر حذف الدوال فى الآيتين ۴ و۵ بأسلوب الإيجاز، حيث عُرضت معانٍ شاسعة فى كلمات معدودة. إلا أن "الحمولة الدلالية" هنا تدفع المخاطب مباشرةً لربط الأقسام بنظام خلق الإنسان، ليجد نفسه مخيراً بين "أحسن تقويم" و"أسفل سافلين."

- لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ: فى خمس كلمات فقط (مع حرفى تأكيد: اللام وقد)، صاغ القرآن رؤيةً مكثفة لـ "الأنثر و بولوجيا الإلهية "(معرفة النفس)، شملت المبدأ، و نظام الحياة الأمثل، و القوى المودعة للوصول إلى الغاية.
- ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ :بأربع كلمات فقط، تم تقرير معانٍ سديدة تتعلق بالمعاد، و الصراع الأزلى بين الخير و الشر، و القوى النزوعية فى النفس البشرية؛ و هو إيجاز بالغ الروعة.
- إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ :تقدم هذه الآية آلية النجاة من السقوط الوشيك. فرغم قصرها، إلا أنها تمنح السكينة عبر مفتاحى "الإيمان" و"العمل الصالح"، اللذين فُصِّلا فى السور المدنية الطويلة، بينما اكتُفى هنا بـ "الدال الجوهرى" لهما.

الإيجاز و الالتفات الزجرى (الآيات ۷-۸):

- فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ: تجمع هذه الآية بين الإيجاز و الالتفات؛ فبنبرة حادة و سريعة تخاطب المكذبين، مما يقطع استرسالهم الذهنى. و هذا اللحن "المكى" يناسب تماماً أجواء الصراع الأولى مع الكفر.
- أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ: يختتم الإيجازُ السورةَ بحذف لغوى مقصود للاختصار، فبدلاً من تكرار تفاصيل الخلق و الجزاء. مثلاً: أليس الله الذى خلقكم و رّدكم الى اسفل السّافلين بأحكم الحاكمين فى المحسنين و المكذبين؟، أو أليست حكمة الله بالغة فى هذا الحكم على المؤمنين و غير المؤمنين و هو ما أشارت إليه بعض التفاسير(اندلسى، ۲۰۱۰، ج۸، ص۳۴۱؛ عبدالسلام ابومزيريق، ۲۰۱۱، ص۳۷۹). جاءت الآية فى غاية التكثيف لتكتسب لحناً تقريرياً يشعر معه المكذّب بالخطر، و المؤمن بالحماية و الأمان.

۱۰. الدلالة الشفهية فى سورة التين

فی الإجابة عن تساؤلٍ مفادُه: "إلی أی مدی تعکس سورة التین التیارات الفکریة و الثقافیة إبّان عصر النزول؟"؛ یمکننا القول -وفق خطاب الدلالة الشفهیة للسورة- إنها" :نقدٌ لتکذیب أصل الوحی فی ذلک المقطع الزمنی، و فی أرض مکة، و علی بشرٍ مخصوص."

۱۰-۱ قراءة فی هذا الخطاب

بما أن السورة مکیةٌ و نزلت فی سنوات البعثة الأولی وفق رأی جمهور المفسرین، فلابدّ من مراعاة أن الأجواء السائدة فی مکة حینها کانت أجواء شرکٍ و عنادٍ و تکذیبٍ لنبوة النبی ﷺ و دعوته. و کان الجانب الغالب هو استبعاد نزول الوحی علی بشرٍ (مثل محمد ﷺ). و من هنا، أراد الله تعالی عبر القسَم بتلک البقاع المقدسة المعروفة لدی العرب وأهل الکتاب علی حد سواء –و التی شهدت نزول الوحی سابقاً- أن ینقد إنکار أصل الوحی و یجعله أمراً مقبولاً و ممکناً ذهنیّاً.

و بناءً علی هذا، فإن التفسیر الذی یراه العلامة الطباطبائی محتملاً و متناسباً مع سیاق الآیات، هو أن القسَم بـ"التین والزیتون" یشیر إلی منابت شجرهما (الشام و فلسطین)، و بانضمام "طور سینین" (محل وحی موسی کلیم الله) إلیهما، یسعی السیاق إلی إثبات إمکانیة استمرار سلسلة النبوة، و هذه المرة فی "مکة" و علی عبد الله "محمد ﷺ."

و الشاهد علی ذلک هو تعقیب تلک الأقسام مباشرةً بالقسَم بـ هَذَا الْبَلَدِ الْأَمِینِ (مکة)، لإضفاء القداسة المترتبة علی آثار الوحی علی هذه الأرض، أسوةً بالأراضی المقدسة السابقة.

إنَّ استحضار مواقع نزول الوحی المعروفة لدی المشرکین وأهل الکتاب یُعدُّ من "الدلالات الشفهیة" التی یمکن دراستها بدقة وفق خطاب عصر النزول. و هذا لا یتنافی مع "خلود المعارف القرآنیة" العابرة للزمان و المکان، و التی فصّلنا القول فیها سابقاً عند الحدیث عن "التعمیمات" و"التصریفات."

و یمکن تلخیص الإجابة عن التساؤلات الجوهریة فی هذا الصدد کما یلی:

۱. هل عکست سورة التین التیار الفکری و الثقافی لزمانها؟ نعم، لقد عکسته و لکنها لم تذُب فیه، بل هیمنت علیه.
۲. لماذا عکست ذلک؟ للاستعانة بالمرتکزات الذهنیة و المعلومات الشائعة لدی الناس حینها (حول وحی نوح وموسی و عیسی) لتمهید قبول نبوة نبی الإسلام و إمکانیة ظهور الوحی فی مکة.
۳. کیف عکست ذلک؟ عبر آلیة "القسَم" و التأکید علی الأراضی المعهودة (المُقسَم بها) لربطها بالواقع الجدید (المُقسَم علیه)

۱۱ .دلالات التناسب بین سورة التین والکتب المقدسة (العهدین)

ورد ذكر ثمرتى "التين" و"الزيتون" فى مواضع عديدة من الكتاب المقدس، سواء فى العهد القديم (التوراة) أو العهد الجديد (الإنجيل)، مما يضفى بعداً تاريخياً و دينياً عميقاً على الأقسام القرآنية.

١١-١ العهد القديم (التوراة)

أ) التين :(Teenah) هو أول نبات يُذكر فى سفر التكوين. فبعد أن أكل آدم وحواء من "شجرة معرفة الخير والشر"، انفتحت أعينهما وعرِفا أنهما عريانان؛ «فَخَاطَا أَوْرَاقَ تِينٍ وَصَنَعَا لأَنْفُسِهِمَا مآزِرَ» (التكوين ٣: ٧) ذهب بعض مفسرى التوراة إلى أن "الشجرة المحرمة" كانت شجرة تين؛ فهى التى كانت وسيلة الخطيئة من جهة، و ستر العورة من جهة أخرى. (و قد أشار الشاعر الفارسى خاقانى إلى هذه القصة فى أشعاره). كما يذكر العهد القديم أن الجواسيس الذين أرسلهم موسى إلى أرض كنعان عادوا و معهم التين و الرمان و العنب (العدد ١٣: ٢٣). و ورد ذكر التين كرمز للأمان و السلام فى سفر ميخا (٤: ٤): «بَلْ يَجْلِسُونَ كُلُّ وَاحِدٍ تَحْتَ كَرْمَتِهِ وَ تَحْتَ تِينَتِهِ، وَ لاَ يَكُونُ مَنْ يُرْعِبُ».

ب) الزيتون :ارتبط الزيتون فى التوراة بقصة نوح عليه السلام؛ حيث عادت الحمامة إلى السفينة «وَ فِى مَنْقَارِهَا وَ رَقَةُ زَيْتُونٍ خَضْرَاءُ. فَعَلِمَ نُوحٌ أَنَّ الْمِيَاهَ قَدْ قَلَّتْ عَنِ الأَرْضِ» (التكوين ٨: ١١) من هنا صار غصن الزيتون رمزاً عالمياً للسلام و الوفرة. و قد ورد ذكر الزيتون وزيته فى الأسفار الخمسة الأولى نحو ٦٠ مرة، و فى بقية أسفار العهد القديم نحو ٨٠ مرة، مما يعكس منزلته الرفيعة فى حياة بنى إسرائيل وأرض فلسطين (التثنية ٦: ١١).

١١-٢ العهد الجديد (الإنجيل)

تكرر ذكر التين فى الأناجيل أيضاً، كما فى (متى ٢١: ١٩) و (مرقس ١١: ١٣) و (لوقا ١٣: ٦)، و غالباً ما كان يُستخدم فى الأمثال التى ضربها السيد المسيح عليه السلام للتعبير عن الثمر الروحى.

الاستنتاج من المقارنة:

إنَّ أحد الأهداف المتوازية للقرآن الكريم هو "حفظ الروابط البنيوية "مع الكتب السماوية السابقة و العناصر المعهودة فى الأديان الإلهية. و بما أن ثقافة أهل الكتاب كانت حاضرة فى شبه الجزيرة العربية و لها نفوذ اقتصادى وثقافى، فإن القرآن الكريم وظّف هذه "الشبكة المضمونية" المشتركة (المعارف غير المحرفة) كحجةٍ دامغة.

إنَّ هذا الارتباط فى السور المكية عبر "القسَم" بهذه الرموز، يمثل "وثيقةً تاريخية "لإثبات إمكانية بعثة نبى الإسلام؛ فمن أقسم بما قدّسه الأولون، إنما يؤكد أن مصدر وحيه هو ذات المصدر الذى خاطب الأنبياء السابقين، مما يُفند مزاعم المكذبين للوحى القرآنى.

١١-٣ منهجية هذه الدلالة

إنَّ استحضار أسماء الثمار التی تحظی بقدسیۀ فی المسیحیۀ و الیهودیۀ –و التی ارتبطت بقصۀ الخلق و هبوط آدم فی مصادرهم الدینیۀ- إلی جانب ذکر الأراضی المقدسۀ التی شهدت بعثات أنبیائهم و مخاطبتهم بالوحی، یبرهن بوضوح علی طبیعۀ "التفاعل الدینی "بین الإسلام و الأدیان السابقۀ.

بید أنَّ هذا التفاعل و الاشتباک المعرفی قد صِیغَ ضمن الفضاء الفکری والثقافی الإسلامی، مع الحفاظ علی "مرکزیۀ مکۀ "وأفضلیۀ الدین الخاتم الذی انبثق فیها. إنَّ تسمیۀ مکۀ بـ «الْبَلَدِ الْأَمِین» فی سیاق ذِکْر بلاد الأنبیاء السابقین، إنما یشیر إلی فضیلةٍ تفرّدت بها مکۀ عن سائر تلک البقاع؛ و هی فضیلۀ "الأمان المطلق" وکونها "وادی الأمان" الذی تدفقت فیه الولایۀ الإلهیۀ فی تلک الحقبۀ من تاریخ الأرض.

إنَّ هذا الترتیب التصاعدی فی الأقسام، وصولاً إلی مکۀ، یهدف إلی بیان أنَّ مکۀ لیست مجرد حلقۀ فی سلسلۀ الأراضی المقدسۀ، بل هی "خاتمۀ المطاف" و البیئۀ التی استقرت فیها الهدایۀ الإلهیۀ فی صورتها الأتمّ و الأکمل.

۱۲. سیرۀ النبی الأکرم ﷺ فی سورۀ التین

تتجلی معالم سیرۀ النبی الأکرم ﷺ فی سورۀ التین بشکل أساسی فی قوله تعالی«وَ هَذَا الْبَلَدِ الْأَمِینِ» و کما سلف فی البحث، فإنَّ هذا الأسلوب الدلالی یسعی لإبراز مکۀ المکرمۀ -بوصفها مهبط بعثۀ نبی الإسلام- إلی جانب بقاع الوحی التاریخیۀ الأخری، مع تمییزها بوصف "الأمین."

و ثمۀ ملحظٌ دقیقٌ هنا؛ و هو أنَّ الله تعالی أقسم بالبقاع الثلاث (الشام، و فلسطین، و طور سیناء) دون ذکر النتائج المترتبۀ علی تلک الرسالات مباشرۀً، أما بعد القسَم بـ"البلد الأمین" –و هو مرکب وصفی ذو حمولۀ قیمیۀ خاصۀ- فقد جاء "جواب القسَم" فوراً» :لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِی أَحْسَنِ تَقْوِیمٍ .« وکأنَّ السیاق یرمی إلی ربط "نظام الخلقۀ الأتم" بـ "البلد الأمین"، و إعلان خاتمیۀ الوحی فی رحاب مکۀ.

أولویۀ القسَم الأخیر و ارتباطه بالمُقسَم علیه:

یذهب الباحث (الکاتب) إلی أنَّه فی السور المصنفۀ ضمن "المُقسّمات"، یکون القسَمُ الأخیرُ دائماً هو الأهم، و یجب رصد علاقۀ هذا القسَم الأخیر بالمُقسَم علیه (جواب القسم) بترکیزٍ خاص. فرغم أنَّ جمیع الأقسام ترتبط بالمضمون، إلا أنَّ آخِرها یؤدی دوراً محوریاً فی توجیه الدلالۀ.

و نجد نظیر ذلک فی سورۀ الشمس؛ حیث تتوالی الأقسام وصولاً إلی القسَم الأخیر: «وَ نَفْسٍ وَ مَا سَوّاهَا»، لیعقبه مباشرۀً قوله: «فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَ تَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَکّاهَا». فهنا ارتبط الفلاحُ بطهارۀ النفس التی کانت مِسک ختام الأقسام.

و بناءً على هذه القرينة القائمة فى السور القسمية، يمكننا استنتاج الآتى :إنَّ الربط بين "خلق الإنسان فى أحسن تقويم" و بين "مكة" يُشير إلى ظهور "المصداق الأتم و الأكمل "لهذا الحُسن فى هذا البلد (و هو النبى ﷺ). كما يُعرف مكة بأنها "وادى أمن الولاية الإلهية"؛ فكل من دخل فى كنف هذه الولاية نجا من السقوط فى "أسفل سافلين". و هذا يمتد ليشمل استمرار الولاية النبوية فى ثوب "الإمامة" فى هذه الأرض المقدسة، مما يُبرز الفضيلة الفريدة لنبى آخر الزمان و هيمنة رسالته على نبوات السابقين.

الخاتمة و النتائج

أظهرت الدراسة الدقيقة للنظام الدلالى لسورتى "التين" و"العلق" وجود علاقة "زوجية و تكاملية" عميقة بين هاتين السورتين المتجاورتين. و رغم أن التفاسير التراثية قد أشارت إلى وجود روابط بين السور المتتالية، إلا أن البحوث البنيوية الحديثة تُثبت أن نظام المعنى فى القرآن الكريم يقوم على أساس "الزوجية المكملة"، و هو ما يتجسد بوضوح فى هذا الزوج السورى.

إنَّ سورة التين -على الرغم من إيجاز آياتها الشديد- تحمل رسالةً حضاريةً كبرى، تجد تمامَها و تفصيلَ معارفها فى سورة العلق؛ فلا توجد آية موجزة فى "التين" إلا ولها نظيرٌ دلالى زوجى فى "العلق". و هذا يمثل بُعداً من أبعاد الإعجاز المضمونى للقرآن الكريم، و دلالةً على سريان قانون الزوجية فى نظام الخلق قاطبة، و هو ما نص عليه الكتاب العزيز فى قوله: «وَ مِنْ كُلِّ شَیْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَیْنِ» و«خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا».

خلف ذلک، بيّنت الدراسة أنَّ سورة التين، عبر أسلوبها الخاص فى بناء المعنى، ترسخ الروابط الوثيقة بين القرآن الكريم والكتب السماوية السابقة. هذا المنهج، الذى كان مألوفاً لدى أهل الكتاب فى عصر النزول، مثّل استراتيجيةً بلاغية و تبليغية لاستقطابهم؛ حيث قدّم الإسلام نفسَه لا كدينٍ منبتٍّ الصلة عما قبله، بل بوصفه "المُتمِّم" للمعارف الإلهية السابقة و"المُصحِّح" لما طرأ عليها من تحريف. إنَّ هذا الأسلوب يؤكد على وحدة الرسالة الإلهية و انسجامها عبر التاريخ، و هى الرسالة التى تجلت بوضوح فى الأقسام الاستهلالية لسورة التين.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١. ابن عاشور، محمد الطاهر(١٤٢٠) .هـ .*التحرير والتنوير* .تونس: الدار التونسية للنشر.
٢. ابن عباس، عبد الله .(د.ت). *تفسير القرآن الكريم*.
٣. ابو مزيريق، احمد عبدالسّلام (٢٠١١ م). *ارشاد الحيران فى توجيهات القرآن*. بيروت: دارالمدار الاسلامى.
٤. أحمدى، رضا(١٣٩٨) .ش/٢٠١٩م). «التحليل الأسلوبى لنظام الزوجية فى سور القرآن .«*مجلة البحوث التفسيرية*، العدد ١٠٠، ص ص ٧٥-٩٠. (بالفارسية).
٥. الرازى، محمد بن عمر(١۴٢٠.هـ) *التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)*. بيروت: دار إحياء التراث العربى.

۶. زارع زردینی، أحمد(۱۳۹۵ .ش/۲۰۱۶م). «زوجیة السور القرآنیة ونظامها الدلالی .«*مجلة البحوث القرآنیة*، العدد ۷، ص ص ۴۵-۶۸. (بالفارسیة).

۷. زارع زردینی، أحمد(۱۳۹۷ ش/۲۰۱۸م). «*تحلیل الارتباط بین السور المزدوجة فی القرآن الکریم* .«*فصلیة العلوم القرآنیة*، العدد ۱۲، ص ص ۹۰-۱۱۰. (بالفارسیة).

۸. الزمخشری، محمود بن عمر(۱٤۰۷ .هـ). *الکشاف عن حقائق غوامض التنزیل* .بیروت: دار الکتاب العربی.

۹. سجادی، محمد رضا(۱۳۹۰ .ش/۲۰۱۱م). «*نظام التقابل فی سور القرآن*». فصلیة الدراسات القرآنیة، العدد ۱۱۸، ص ص ۱۲۵-۱۴۰. (بالفارسیة).

۱۰. سید قطب، إبراهیم حسین(۱٤۲۵ .هـ). *فی ظلال القرآن* .القاهرة: دار الشروق.

۱۱. الطباطبائی، السید محمد حسین(۱٤۱۷ .هـ). *المیزان فی تفسیر القرآن* .قم: مؤسسة النشر الإسلامی.

۱۲. الطبری، محمد بن جریر(۱٤۱۲ .هـ). *جامع البیان عن تأویل آی القرآن* .بیروت: دار المعرفة.

۱۳. الکتاب المقدس .(۲۰۰۱) .*سفر التکوین*، الإصحاح ۳: ۶-۷. الترجمة العربیة المشترکة/القدیمة.

۱۴. الکتاب المقدس .(۲۰۰۱) .*سفر التکوین*، الإصحاح ۸: ۱۱. الترجمة العربیة المشترکة/القدیمة.

۱۵. لطفی، سید مهدی(۱۳۹۰ش). *تماسک النص بین سور القرآن الکریم*. فصلیه الدراسات القرآنیه و الحدیثه، العدد ۸، ص ۱۵۰-۱۲۹. (بالفارسیه).

۱۶. مقاتل بن سلیمان.(د.ت). *تفسیر مقاتل بن سلیمان*.

۱۷. Armstrong, K. (۱۹۹۳). *A History of God: The ٤٬۰۰۰-Year Quest of Judaism, Christianity and Islam*. New York: Ballantine Books. p. ٤٥.

۱۸. Black, J., & Green, A. (۱۹۹۲). *Gods, demons and symbols of ancient Mesopotamia: An illustrated dictionary*. University of Texas Press.

۱۹. Daniels, P. T. (۱۹۹٦). *The study of writing systems*. In P. T. Daniels & W. Bright (Eds.), *The world s writing systems* (pp. ۳-۱۷). Oxford University Press.

۲۰. Smith, H. (۱۹۹۱). *The World s Religions*. New York: HarperOne. p. ۱۲۳.

۲۱. Sasson, J. M. (۱۹۹۵). *The origins of writing in the Near East. Archaeology Odyssey*, ۱(۱). Or : https://archive.org/details/isbn_۹۷۸۰٦۸٤۱۹۲۷۹٦

۲۲. Liverani, M. (۲۰۱٤). *The Ancient Near East: History, Society and Economy*. London: Routledge. p. ۷۸.